

الأبعاد الفلسفية للفكر النهضوي في الجزائر

أستاذ: لكحل فيصل

مقدمة:

إن مقارنة بسيطة للتاريخ تكشف لنا أن أي نزعة إصلاحية نهضوية سواء في العصر الحديث أو غيره إنما كانت تقف وراءها دائما أبعاد فلسفية عميقة ، فمثلا لم يستطع "ورنيه ديكرات" أن يتجاوز الفلسفة القروسطية إلا من خلال استحداث فلسفة عقلانية تأخذ بموقف إصلاحي نهضوي جديد ، وهكذا إذا تأملنا تاريخ الفكر الإنساني نجد أن هناك تساوقا بين البعد الفلسفي والطرح النهضوي الإصلاحي، سواء تعلق الأمر بمجال التنظير الفكري أو الواقع الاجتماعي والسياسي، ولكن هذا الأمر لا يؤخذ على إطلاقه دائما، إذ هناك بعض المساعي النهضوية الإصلاحية التي لا تتساوق بالضرورة مع طرح فلسفي معين، وهذه النتيجة يمكن أن تنطبق على حال التطور التاريخي للفكر الجزائري الذي يواجه حتما بإشكالية / هل هناك أبعاد فلسفية معينة توجه مختلف المساعي النهضوية والإصلاحية في الفكر الجزائري ؟

إن الإجابة عن هذه الإشكالية ليست أمرا سهلا البتة، لأن أي إمكانية إجابة عنها ستواجه حتما بعائق إبستمولوجي خطير، وهو أن من طبيعة البعد الفلسفي أن يترجع إلى حاكمية نسق معين، وهذا مالا نعثر عليه إذا ما نحن تتبعنا حال التطور التاريخي للفكر الجزائري، فهو يكشف فقط عن وجود مساعي نهضوية كانت تقف وراء اغلب المشاريع الاجتماعية والحضارية التي يطمح إليها هذا الفكر في المجال النظري والعملي، لأن طبيعة الحدث التاريخي الذي أنتج فيه هذا الفكر فرض وجود طموح نهضوي إصلاحي لا يرقى إلى مستوى الخطاب الفلسفي المشهود في الغرب، لاسيما إذا ما نحن راعينا النتيجة التي ألت إليها نفسية الفرد وحالة المجتمع جراء الفترة الاستعمارية الفرنسية، إضافة إلى طبيعة القصور الذي يزرع تحت نيره الفكر الجزائري جراء عدم قدرته على ممارسة الفعل الفلسفي من خلال طرح السؤال وبناء المفهوم، وهذا إما لقناعة عجز مترسخة فيه مقارنة بالفكر الغربي الآخر، وإما لعدم وجود مناخ ثقافي واجتماعي لممارسة حرية الإبداع والتفكير، والنتيجة المترتبة عن ذلك هي بطبيعة الحال، ليس لنا فكر فلسفي أصيل يمكن أن تتمرجع إليه مساعي النهضوية والإصلاحية مثلما هو الحال في الفكر الغربي، بل لنا فقط اشتغال على الفكر الفلسفي فهما وتاريخا

أستاذ لكحل فيصل

وترجمة، وهذا الأمر ليس شيئا جديدا نكشف عنه، لأن أكثر المثقفين والمفكرين الجزائريين يدركون هذا الأمر جيدا بحكم خبرتهم وتكوينهم، ولكن الشيء الذي ربما غاب عن أذهاننا هو التداعيات والامتدادات التي تكشف عنها هذه النتيجة، والتي انجر عنها وجود فكر متأزم ثقافيا واجتماعيا وسياسيا يحتاج إلى أن يتوقف لحظة بالرجوع إلى الخلف ليستطيع القفز إلى الأمام من جديد، بمعنى أن الضرورة الثقافية والحضارية التي يشهدها العالم اليوم تفرض على الفكر الجزائري مراجعة نفسه ومعرفة قدراته وإمكاناته، ونحن لا نضع أنفسنا هنا في موضع المحاكم الذي يدين ما أُل إليه الفكر الجزائري، لأننا نعلم جيدا أن بناء النسق الفكري الفلسفي الذي من شأنه أن يعالج قضايا الإنسان والمجتمع ليس أمرا إراديا البتة، متى أردنا ذلك حققناه، وإنما هو على العكس من ذلك يخضع لشروط ولظروف وعوامل ينتجها الإطار الثقافي والحضاري المناسب، ولكن إذا سلمنا جدلا بوجود شبه فكر فلسفي في الجزائر فإن ذلك لا يكون إلا بالمعنى الذي يناسب طبيعة الأزمات التي يواجهها هذا الفكر في المستوى الثقافي والحضاري والذي تنتج عنه ردة فعل إصلاحية نهضوية لا غير، ولكن هذا مع مراعاة حقيقة مهمة وهي أن هذه المساعي تشكل لحظة البدء والانطلاق فهي إمكانية حاضرة دائما عند المثقفين والمفكرين تحتاج بالضرورة إلى مقومات معينة تخرجها من حيز الإمكان إلى الوجود وتحدد في الآن نفسه أبعادها الجوهرية، ولهذا بالضبط استقرت اشكالياتنا في هذه الورقة على الصيغة الآتية: ما هي الأبعاد الفلسفية التي تؤسس لمقومات الفكر النهضوي في الجزائر؟ وما هي تداعياتها وامتداداتها النظرية والعملية؟ وما مدى مساهمتها في تغيير الواقع الجزائري المعاصر بمختلف أبعاده الثقافية الاقتصادية، الاجتماعية والحضارية عامة؟

لقد شهد تاريخ الفكر الفلسفي عبر مراحل عدة منعطفات حاسمة غيرت في الكثير من الأحيان مجرى التاريخ الإنساني برمته ووجهته في كل حلقة من حلقاته إلى أهداف ورؤى جديدة يكون السابق فيها بمثابة مرجعية تأسيسية لكل مشروع فكري لاحق، وفي حقيقة الأمر هذه النظرة نفسها، يمكن أن تطال حال المشاريع النهضوية التي ظهر صداها في الفكر الجزائري، فهو كفكر نهضوي طموح يستمد أصوله من خلال تلك المساعي الأولى التي سنّها رواد النهضة والإصلاح وهذا ما تمثل في منحى السعي إلى تحصين الذات الجزائرية انطلاقا من الوعي بضرورة دعم الهوية الثقافية وتوطيد مكوناتها في سياق الهيمنة الاستعمارية، فقد بينت التجربة التاريخية أن البعد الثقافي كان حاضرا

الأبعاد الفلسفية للفكر النهضوي في الجزائر

دائما في أحلك التجارب التي عاشتها الجزائر⁽¹⁾، وهذا من خلال الدور النهضوي الإصلاحي الذي لعبته المؤسسات الاجتماعية والثقافية التي عايشته تلك التجارب، فمثلا تأسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1931 وغايتها الدفاع عن هوية الجزائر الثقافية بجميع مكوناتها، مثلما بين ذلك "ابن باديس" عندما أكد أبعاد هذه الهوية ومكوناتها من لغة وعادات وتقاليد وتاريخ⁽²⁾، لان التمييز بين هوية الجزائر وهوية فرنسا يكون في نظره على أساس الاختلافات الثقافية لكل منهما، وبالفعل فقد قاومت الجزائر محاولات الهدم التي دعي إليها أصحاب "الجزائر فرنسية" وقد عبر "فرانس فانون" (ت1961)، في كتابه "المعذبون في الأرض" عن إصرار الجزائريين البطولي في المحافظة على أبعاد هويتهم ورفضهم الاستلاب والتهجين وهذا ما مكثهم من ربح معركة البقاء فمعركة الحفاظ على الهوية⁽³⁾ والدليل على ذلك أن رهان الهوية ظل مدرجا في جدول أعمال الأحداث الوطنية التي تستقطب الرأي العام الجزائري، لاسيما وان بعض فضائل المجتمع السياسي تحمل على لوائها عزما في طرح قضية الهوية الثقافية، فهي مركز اهتمام متواصل لرهانات متعددة الأوجه والأبعاد، السياسية، الاقتصادية، الإدارية والاجتماعية.

ولهذا يمكن القول أن حملة "ابن باديس" الإصلاحية / النهضوية كانت ذات صدى فعال في أواسط المجتمع الجزائري حيث نقلت الفرد الجزائري المسلم إلى مستوى التأمل في مصيره الديني والسياسي، جاعلة إياه يعي وضعه بأنه مسلما وجزائريا ومستعمرا، حيث كانت تدعوا مثلا للحياة الاجتماعية والثقافية تحت شعار الوفاء العربي الإسلامي من

1- يمكن القول انه ومنذ الاستقلال أصبحت تشكل معالم البعد الثقافي في النهضة الجزائرية. حيث أضحت تتصل بمسائل جوهرية من مثل: هل القيم الثقافية التي أتاحت تأكيد الشخصية وتحقيق التحرر، قادرة أن تكون أيضا أداة إنعاش وتطوير؟ وهل يمكن التوفيق بين الذاتية الثقافية والاتجاه العصري في عهد التقدم العالمي والتكنولوجي والعلمي؟ وهنا بالضبط يمكن الكلام على الدور المنوط بالهضة الثقافية التي يجب أن تساهم في التعريف بالتراث الوطني الجزائري وان تمهيا لإطارا ووسائل عمل ملائمة لنشر الثقافة وتشجيع الإبداع وعقد صلات حوار واتصال بين مختلف فئات المجتمع، انظر في هذا الصدد، سيد احمد بغلي: "جوانب من سياسة الجزائر الثقافية"، منظمة الأمم المتحدة العربية للتربية والعلم والثقافة، باريس، (د-ط)، 1980، ص11.

2- عبد الحميد ابن باديس: "اثار ابن باديس"، إعداد وتصنيف، عمار الطالبي، أربعة أجزاء، ط2، دار الغرب الإسلامي، 1983، ص310.

3- عبد المجيد البدوي: "الفكر العربي الإسلامي الحديث والمعاصر وتحصين الذات"، مركز النشر الجامعي، تونس، 2005، (د-ط)، ص43، ص44.

أستاذ لكحل فيصل

خلال إحياء الشخصية الجزائرية وبعث الثقافة الوطنية العربية⁽⁴⁾، وفي هذا يقول "ابن باديس": "ولأننا جزائريون، نعمل للـم شمل الأمة الجزائرية وإحياء روح القومية في أبنائنا وترغيبهم في العلم النافع والعمل المفيد حتى ينهضوا كأمة لها حق الحياة والانتفاع في العلم وعليها واجب الخدمة والنفع للإنسانية"⁽⁵⁾، ففي هذا يقرر ابن باديس في ثقة كاملة أن الإسلام هو الحل الأول الذي يجب اعتماده في مشروع النهوض بالأمة الجزائرية⁽⁶⁾، مركزا في ذلك على قيمة وأهمية البعد الديني والأخلاقي والثقافي في عملية النهوض هته، ولذا يتحتم على النهضة الجزائرية المعاصرة بشكل أو بآخر أن تسعى إلى السير على خطى "ابن باديس" النهضوية/ الإصلاحية في ميدان التربية والتعليم الديني الإسلامي خصوصا، من أجل بناء المجتمع المأمول، لان بعث الحياة في المجتمع وبعث النهضة فيه لينتقل على أثرها من حال الجمود والركود إلى حال مناقضة يبني على العلم الذي يجب أن تتشبع به نفوس أبناء المجتمع⁽⁷⁾، ولذا فكأن الحركة النهضوية الإصلاحية الباديسية من خلال تداعياتها المعاصرة حاولت إيجاد الحلول الإسلامية للمشاكل الاجتماعية والثقافية لزماننا هذا، نظرا لعمق النظرة الإصلاحية الاستشرافية التي كانت تحملها وتدافع عنها⁽⁸⁾

من هنا فإننا لن ننظر في إسهامات كل واحد من المفكرين النهضويين بوصفهم ممثلي الحركة النهضوية والإصلاحية في الجزائر، لان نشاطهم لم يكن تنظيري بمعنى الكلمة مثلما هو عليه حال أساطين الفكر الغربي، وإنما كان مندرجا تماما في الحياة اليومية للمجتمع الإسلامي ولم يكن يكتسي طابعا استثنائيا، لان اغلب رواد الحركة النهضوية كما تجلت مع جمعية العلماء المسلمين الجزائرية والمتأثرين بها في ما بعد، كانت تتولى المهمة الأساسية لها داخل المجتمع مثل التعليم والإرشاد والتظاهرات الثقافية⁽⁹⁾، غير أن هذا المسعى الفكري يعبر عن بعد نهضوي من نوع آخر، لا سيما وان المفكرين في الغرب

4- على مراد: "الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر، بحث في التاريخ الديني والاجتماعي"، من 1925 إلى 1940، ترجمة،

محمد يحيى، وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007، ص 99.

5- عبد القادر هني: "التربية والتعليم ومشروع المجتمع عند الشيخ عبد الحميد ابن باديس"، مجلة الباحث، المدرسة العليا للأساتذة في الآداب والعلوم الإنسانية بوزريعة الجزائر، العدد الثاني، 2009، ص 16.

6- المرجع نفسه، ص 21.

7- المرجع نفسه، ص 23.

8- على مراد: "الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر، بحث في التاريخ الديني والاجتماعي، مرجع سابق، ص 305.

9- المرجع نفسه، ص 129.

الأبعاد الفلسفية للفكر النهضوي في الجزائر

المعاصر أدركوا مدى أهمية أن يكون الفكر عمليا مرتبطا بالا طار الاجتماعي وبالمساعي التجديدية التي يتطلبها الواقع الإنساني.

انطلاقا من هذا يمكن القول أن الأبعاد الفلسفية للفكر النهضوي الجزائري لم تبقى حبيسة لمقارعة الزمن ولا إلى مصادفة التاريخ، فلقد كتب "مصطفى لشرف" عن الأمة والمجتمع وطرح مشكلات متعلقة بالهوية والتاريخ والحركة الوطنية ومشاكل الثقافة الوطنية من منظور نقدي وتجديدي، وتحدث المفكر "مولود قاسم نايت بالقاسم" عن مسائل الأصالة والتجديد الديني محاولا إيجاد صيغة توفيقية بين متطلبات الحاضر والتزامات الماضي، كما اهتم بمسائل التاريخ الوطني والثقافة الوطنية وخاصة قضية التعريب، ويعد المفكر "مالك بن نبي" صاحب مشروع فكري وفلسفي قائم بذاته، اهتم بالتجديد الحضاري للمجتمع الإسلامي وقدم تأويلا خاصا لعلاقة الدين بالمجتمع والتاريخ، وناقش "رضا مالك" مشكلات الأصالة والحداثة والتاريخ الوطني والحركة الوطنية والحداثة والعقلانية، كما تعرض لهذه المسائل مؤرخون وعلماء الاجتماع "كمحمد حربي" و"أبو القاسم سعد الله" و"علي الكنز"، وذلك عندما طرح الأول مشكلات التاريخ الوطني والحركة الوطنية وخاصة الدولة الوطنية، والثاني عندما ناقش مشكلات الوطن وحل بل أقام تاريخا كاملا للثقافة الوطنية، والثالث عندما ناقش مسائل الدين والسياسة في الجزائر⁽¹⁰⁾، وكذلك محاولة المثقف المغتال "بختي بن عودة" في تفكير الحداثة وما بعد الحداثة، حيث يقول في سياق تحليله لـ "الحداثي العقلي، الخطاب المكتوب في الجزائر أنموذجا"، "ها نحن ننسى الربط بين ما دشنه توفيق المدني ومالك بن نبي والأشرف وغيرهم، وبين المشاهد الجديدة فمن أين يبدأ الإنصات إلى الكلمات، أما زلنا نصغي لزلزلة المكتوب، لعطش البياض؟"⁽¹¹⁾

لاشك أن المفكر "بختي بن عودة" يلمح من خلال كلامه هذا إلى أن النهضة أو التجديد الفكري الإبداعي الذي من شأنه أن يساير الفكر الحداثي العالمي، لابد أن لا يغفل في مسيرته عن ما بدأه الأولون كون أن البدء في عملية الإصلاح على خطى الفكر الفلسفي الصحيح إنما يفترض الأخذ بزمام الفهم الصحيح لصيرورة تلك المساعي المختلفة التي يوحدتها الهم المشترك وتحركها النوازع الواحدة، في فهم طبيعة الكيان التاريخي للثقافة الجزائرية بمختلف الأبعاد التي تؤطرها وهذه المهمة إنما هي مشكلة المثقف الجزائري مع

10- الزواوي بغورة، "الهوية والعنف في الخطاب الثقافي الجزائري"، مجلة العربي، العدد 159 أكتوبر، 2008،

ص24. وكذلك: "الخطاب الفلسفي في الجزائر الممارسات والإشكاليات" تشخيص نقدي، ص6.

11- المرجع نفسه: ص24، ص25.

أستاذ لكحل فيصل

المحيط الذي تنعكس فيه شبكة العلاقات الثقافية التي تربط بين المثقف وبقية الشرائح الاجتماعية الأخرى مثل السياسي ورجل الدين، ولهذا فإن المشكلة حسب ما يري الباحث "محمد شوقي الزين" تمكن في طبيعة المثقف الجزائري الذي يعاني الغياب والتغيب، فهو لا يزال في نظره غائبا قبل أن يكون مغيبا، لأن إرادة التغيير شكلت الهاجس الدائم الذي يسكن وراء كتاباته وبالتالي حجبت عنه إرادة القراءة والتفسير بحكم انه لا يمكن تغيير واقع أو تبديل مشهد دون تحليله أو تأويله أو فهمه أو استقراءه، وهكذا يتبدى طغيان الطابع النخبوي للمثقف على الجانب التربوي، وبالتالي يكون الأمر اللازم للمثقف الجزائري حسب ما يرى "محمد شوقي الزين" هو أداء دوره التأويلي على سبيل الاستحقاق بالمعنى الذي يصبح فيه الواقع الجزائري مادة أولية لاشتغاله⁽¹²⁾ ولهذا بالضبط يرى الدكتور "على الكنز" في دراسته "معطيات لتحليل الانتلجنسيا في الجزائر"، أن انعزال المثقف أو المفكر الجزائري سواء طوعية أو إكراها يحول دون انتعاش الأفكار والمفاهيم في الحقول العملية للمجتمع، إذ المهمة التي يبقى المفكر الجزائري منوطا بها هي الأخذ بأخلاقية الارتحال عبر جغرافيات المعنى والرموز والقيمة التي يسكنها الوعي الجمعي والتي من شأنها تحويل الأفكار المنتجة إلى قيم ممارسة تحقق كيانها في الواقع النفسي والاجتماعي⁽¹³⁾، لاسيما وأن الوضع العالمي المعاصر يفرض على الدوام وجود رؤى تسير الزخم الفلسفي الحضاري الذي يشهده العالم اليوم حيث يسود منطق الاختلاف والمغايرة، لذلك يتحتم على الفكر الجزائري بمختلف توجهاته وتياراته أن يجد منفذا للانخراط في فضاء الفكر الفلسفي الإنساني العالمي المنفتح والمعتدل توخيا لتحقيق مبدأ التكامل الوظيفي بين قيم الماضي ومتطلبات الحاضر وتحديات المستقبل، هذا لأن الثقافة الجزائرية المعاصرة قد وصلت إلى مدى تعددت فيه النظريات والرؤى والمعارف، نظرا لما يشهده الوضع العالمي المعاصر من تغيرات خطيرة مست مجال الفكر والواقع معا.

لقد كان المفكر "مالك بن نبي" من بين القلة التي أدركت طبيعة هذا التحدي الذي يواجه الأوضاع الثقافية والحضارية في الجزائر أمام حتمية الواقع العالمي، فهو كمفكر عاش طبيعة الأزمة التي مرت بها الجزائر في الفترة الاستعمارية وما بعدها خلص إلى انه لكي نبني الحضارة في المجتمع الجزائري المعاصر لا يكفي لنا فقط حل مشكلات الإنسان

12- محمد شوقي الزين: "إزاحات فكرية، مقاربات في الحداثة والمثقف"، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم ناشرون،

ط1، 2008 ص202، ص103.

13- المرجع نفسه، ص128، ص129.

الأبعاد الفلسفية للفكر النهضوي في الجزائر

والتراب والوقت، بل علينا بناء مجتمع إسلامي جديد مبني على شبكة علاقات متماسكة وذلك بالاستناد على الدين الإسلامي لأن العلاقة الروحية بين الله وبين الإنسان هي التي تلد العلاقة الاجتماعية وهذه بدورها تربط ما بين الإنسان وأخيه الإنسان، فيندفع المجتمع إلى البناء الحضاري بالجد والتضحية والفعلية، لأنه كلما كانت شبكة العلاقات أوثق كان النشاط العملي فعالاً ومؤثراً⁽¹⁴⁾

من هنا يمكن القول أن الإنسان في نظر مالك بن نبي هو العنصر الفاعل الذي تبدأ منه عملية التغيير الحضاري، إذ أن دوره لا يتوقف على حفظ النوع بل هو خليفة الله في أرضه وهذه الوظيفة الاستخلافية توجب عليه إجراء عملية تغيير نفسي واجتماعي يتمثله قناعة ومسلكا، فإذا أردنا تجديد البعد النهضوي الحضاري في نفسية الفرد الجزائري لابد أن نهينه إلى عملية تغيير نفسي واجتماعي، لأن أبعاد التغيير المطلوب لذات الإنسان وصولاً إلى تغيير الجماعة لا يمكنها أن تنشأ هكذا مصادفة بلمسة سحرية أو بجهاز أعد خصيصاً لهذه الغاية، ولا تكون بتكديس منتجات الحضارة وإعداد الإنسان لها مهنياً⁽¹⁵⁾، وإنما يجب أن تكون أبعاد التغيير الحضاري للإنسان الجزائري متوافقة مع تربية دينية أخلاقية واجتماعية تراعى فيها علاقة الإنسان بذاته باعتباره خليفة الله في الأرض وعلاقته بغيره باعتباره كائناً اجتماعياً له حقوق وعليه واجبات، إذ من هنا فقط يمكن بناء نموذج الإنسان الجزائري الحضاري الذي يستطيع أن يجعل أبعاد التغيير الحضاري أمراً ناجزاً بالفعل في المجال الثقافي، الاقتصادي، السياسي، والتربوي.

بيد أن هذا الإنسان الذي يقصده مالك بن نبي ليس هو "إنسان-النصف" الذي يقف في الطريق الوسط بين نقطة الانطلاق في التاريخ ونقطة النهاية (الحضارة)⁽¹⁶⁾، وإنما هو

14- راجع لونيبي: "البديل الحضاري-دراسة مستقبلية لمواجهة الكارثة التي تهددنا"، دار المعرفة، 1998، ص 64.

15- أسعد السحمراني: "مالك بن نبي مفكراً إصلاحياً"، دار النفائس، بيروت، ط 2، 1986، ص 198.

16- يفرق مالك بن نبي في هذا الصدد بين صنفين من الأفراد يمكن ملاحظتهما على سبيل المثال في مجتمع مستعمر كالمجتمع الجزائري خلال فترة الاستعمار الفرنسي، الصنف الأول هو فرد المدينة أما الثاني فهو فرد الفطرة (الطبيعة)، والفرق ظاهر بين الصنفين، فالفرد الذي سكن المدينة المتحضر تتمثل فيه الندرة والقلة في كل شيء بحكم أنه يقف في طريق وسط ليس هو نقطة الانطلاق في التاريخ ولا نقطة النهاية كإنسان الحضارة، بل هو إنسان النصف في كل شيء، لأنه لم يكن مستعداً إلا لنصف جهد ونصف اجتهد (تفكير) ونصف طريق، أما فرد الفطرة (الصنف الثاني) فهو الذي يرضى من الأشياء بالعدم، لأنه بوجه من الوجوه يعبر عن نقطة الانطلاق في التاريخ، وكلا الصنفان يفتقدان إلى فعالية التغيير الحضاري، لذلك يرى مالك بن نبي أنه ينبغي القيام بتعديل في أفكارهما والاتجاه نحوهما بالرعاية والتوجيه ليصبحا قادرين على الوعي بمتطلبات التغيير الحضاري ومن ثم العمل على بثها في الوجود النفسي والاجتماعي للإنسان ودفعه إلى الدخول في دورة الحضارة، أنظر في هذا الصدد، ملك بن نبي: "شروط النهضة"، ترجمة عمر كمال مسقاوي وعبد

أستاذ لكحل فيصل

الإنسان المتكامل الذي يبدأ به التاريخ، الإنسان الذي "يطابق دائما بين جهوده وبين مثله الأعلى وحاجاته الأساسية والذي يؤدي في المجتمع رسالته المزدوجة بوصفه ممثلا وشاهدا" (17)، غير أن هذا النموذج الإنساني يكاد يكون طوبويا إلى حد ما لأنه يختلف من واقع حضاري إلى آخر (الدورة الحضارية) نظرا لاختلاف أبعاد المجال الزمني النفسي والاجتماعي التي تصبغ الإنسان والمجتمع بصبغتها الخاصة في كل عصر من العصور التاريخية، ولكن إذا ما تأملنا في حال الإنسان العربي المسلم منذ أقول حضارته (مثلا نموذج الإنسان الجزائري) استطعنا أن نفسر ذلك الهاجس الذي يحرك نصوص "مالك بن نبي" من الخلف ويدفعها إلى البوح بكل مكنوناتها، فالإنسان المسلم حسبه ومنذ عصر ما بعد الموحدين دخل حالة مرضية لازمتها طوال تاريخه، إذ نتج عنها إنسان يتخبط في موجات الحضارة دون أن يستطيع صناعة حضارة، وهذا ما تدل عليه المنزلة التي أولاها الإنسان العربي المسلم للمنجزات الحضارية الغربية الجاهزة مغيبا مبادئه في توجيه أبعاد التغيير الحضاري معتبرا بأن المنفذ والخلاص لا يكون إلا من جهة ما ينتجه الغرب من علوم مادية، وهذا في حقيقته فهم خاطئ ينم عن عدم الوعي بمتطلبات التغيير الحضاري التي تشترط العلوم الأخلاقية والاجتماعية والنفسية (أي العلوم الإنسانية) أكثر من اشتراطها للعلوم المادية، "فهذه تعد خطرا في مجتمع ما زال الناس يجهلون فيه حقيقة أنفسهم" (18)، فنحن لكي نصنع حضارة لا بد أن نصنع الإنسان الذي يشيدها، ولكي نغير انحطاطا حضاريا ما لا بد أولا أن نغير الإنسان، لأن مشكلة الحضارة هي أولا وقبل كل شيء مشكلة الإنسان الذي لا بد أن يتغير من جذوره الأساسية حتى يمكنه تغيير أوضاع حضارية بأكملها.

ولهذا بالضبط يستلهم "مالك بن نبي" إمكانية هذا التغيير من فكرة مبدأ توجيه الإنسان ليصبح قادرا على الوعي بمتطلبات الأبعاد الضرورية للتغيير الحضاري، فحل مشكلة الإنسان حسبه منوطة بتوجيه في نواح ثلاثة يراها ضرورية لكل تغيير حضاري، وهي توجيه في الثقافة وتوجيه في العمل وتوجيه في رأس المال، وإذا قاربنا كلام مالك ابن نبي هذا مع حال الوضع النهضوي الذي يسكن طموح الفكر الجزائري استطعنا القول

الصبور شاهين، ط3، دار الفكر، 1969، ص114، وكذلك، موسى لحرش: "إستراتيجية استئناف البناء الحضاري للعالم الإسلامي في فكر مالك بن نبي" مخبر التربية والانحراف والجريمة في المجتمع، (د-ط)، 2006، ص 104، ص 105.

17- مالك بن نبي: "وجهة العالم الإسلامي"، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر الجزائر، دار الفكر دمشق سوريا، ط5، ص32.

18- المصدر نفسه، ص32.

الأبعاد الفلسفية للفكر النهضوي في الجزائر

أن ما تتطلبه مستلزمات النهضة الجزائرية الحقبة هو ضرورة تفعيل الوعي النهضوي مع الأبعاد الثقافية والحضارية التي توجه الإنسان، نحو واقع التجديد والبناء الملموس ولكن إذا ما نظرنا إلى مشكلة الثقافة بالنسبة للإنسان العربي المسلم (الجزائري على وجه الخصوص) وتساءلنا عن مدى فعاليتها التوجيهية في عملية التغيير الحضاري، فإننا نجد حتما أن هذا الإنسان يحتاج إلى اكتساب نوع من الفعالية من جهة وإلى التخلص من وجوه عدم فعاليته من جهة ثانية، لذلك فالمشكلة الثقافية تطرح بالنسبة إليه تحت المظهر الإيجابي والسلبي معا⁽¹⁹⁾، ومن هنا يتعين على هذا الإنسان أن يشرع في عملية التغيير من أجل حل مشكلة الثقافة بأن يكون رصيда ثقافيا فعالا وأن يصفى الرواسب السلبية التي تتجلى في عدم الفعالية، إذ بذلك فقط يمكنه تحقيق أبعاد التغيير الحضاري المنشودة، ولهذا بالضبط يلح "مالك بن نبي" على أن أزمة العالم الإسلامي بما فيها أزمة الجزائر، ومنذ أمد بعيد لم تكن أزمة وسائل وإنما هي في الأفكار أي أزمة ثقافة إنسانية وما لم يدرك هذا العالم تلك الحقيقة إدراكا واضحا فسيظل داؤه عضالا بسبب تخلفه عن ركب العالم المتقدم، ويبدوا أن رأس المشكلة كله هوان الثقافة الجزائرية تنزع نحو التجريد، نظرا لغياب فعالية المنطق العملي الفعال في استغلال إمكانات الواقع بأقل جهد واقصر وقت، ولكن ما مدى إمكانية تحقيق هذه الأبعاد في ثقافة الإنسان الجزائري؟

ربما تساعفنا التحليلات "البنبوية" لفهم هاجس السؤال الذي يسكن وراءها حول فعالية مبدأ المنطق العملي في الثقافة الإنسانية التي يعول عليها كل تغيير حضاري مطلوب، وبالفعل إذا تأملنا حال الإنسان الجزائري المسلم فإننا نجد خيطا هاديا لهذا السؤال، لأن "مالك بن نبي" خلص إلى أنه من النادر على الإنسان الجزائري المسلم أن يعرف المنطق العملي بحكم تلك اللافاعلية التي تميز ضروب نشاطاته العملية مقارنة بالإمكانات المتاحة له في المحيط الذي يعيش فيه (أي أنه يفتقد إلى فعالية استغلال أقصى ما يمكن من الفائدة من وسائل معينة متاحة له في المحيط الطبيعي والاجتماعي)، هذا على الرغم من أنه يملك إمكانية صياغة مقياس نظري يستخرج به نتائج عملية من خلال مقدمات محددة لذلك، غير أن نشاطاته العملية تعاني من الشلل ونقص في الفعالية في الجانب الخاص والعام⁽²⁰⁾ ولعل السبب الأصيل لهذه

19- مالك بن نبي: "القضايا الكبرى"، دار الفكر الجزائري، دار الفكر دمشق سوريا، ط 1، 1991، ص 72.

20- إن هذا النقص والشلل في فعالية النشاطات العملية راجع بالأساس إلى انعدام تطبيقات المنطق العملي في جوانب مختلفة من حياة الإنسان المسلم وعلى ذلك يذكرنا مالك بن نبي وقائع شهداها هو بنفسه من مثل ذلك الرجل الذي رآه

أستاذ لكحل فيصل

اللافعالية التي تسكن الواقع النفسي والاجتماعي هو "افتقارنا الضابط الذي يربط بين الأشياء ووسائلها وبين الأشياء وأهدافها فسياستنا تجهل وسائلها وثقافتنا لا تعرف مثلها العليا وفكرتنا لا تعرف التحقيق وإن ذلك كله ليتكرر في كل عمل نعمله وفي كل خطوة نخطوها"⁽²¹⁾، إن المجتمع الإسلامي الجزائري حسب هذا يعيش تمزقا داخليا تفرضه تلك الهوة التي تفصل بين المبادئ الدينية التي يقرها القراءان الكريم وبين الجانب العملي السلوكي في حياة الإنسان الجزائري المسلم⁽²²⁾.

إن ما ينقص الإنسان الجزائري المسلم حسب ما يمكن استشفافه من تحليلات "مالك بن نبي" ليس هو منطق الفكرة لأن العقل المجرد متوفر في بلاد العالم الإسلامي، لكن منطق العمل والحركة، أي العقل التطبيقي الذي يتكون في جوهره من الإرادة والنباهة، والذي يكاد يكون معدوما في العالم الثقافي للإنسان المسلم، فهو لا يفكر ليعمل بل ليقول كلاما مجردا لا علاقة له بالعمل والنشاط⁽²³⁾، وحسب ما سبق يتأكد لنا أن

يحمل عند مدخل البريد عدة مظاريف يحاول أن يرتبها وكان يلزمه لذلك عتبة يقوم فيها بعمله، إلا أن انعدام مبدأ المنطق العملي في نشاطه هذا جعله يقف برجليه على تلك العتبة بدلا من أن يضع عليها بريدته في وضعية منحنية أوطأ من نعله تجعل عمله أشق وأكثر جهدا، ولا شك أن هذا الإنسان ن مثال حي شاهد على انعدام المنطق العملي في النشاطات اليومية التي تميز المجال الاجتماعي للعالم الإسلامي، أنظر في هذا الصدد، مالك بن نبي: "مشكلة الثقافة"، مصدر سابق، ص 86، مالك بن نبي: "القضايا الكبرى"، مصدر سابق، ص 78، وكذلك: موسى لحرش: "إستراتيجية استئناف البناء الحضاري للعالم الإسلامي في فكر مالك بن نبي"، مرجع سابق، ص 124، وكذلك، مالك بن نبي: "مشكلة الثقافة"، مصدر سابق، ص 85.

21- مالك بن نبي: "شروط النهضة"، مصدر سابق، ص 117، وكذلك: مالك بن نبي: "وجهة العالم الإسلامي"، مصدر سابق، ص 67.

22- وكمثال على المبادئ التي يقرها القرآن الكريم في حياة الإنسان المسلم نجد قوله سبحانه وتعالى: "واقصد في مشيك" لقمان الآية 19، وكذلك قوله: "ولا تمشي في الأرض مرحا"، لقمان الآية 18، فكل هذه الآيات القرآنية الكريمة وغيرها تدل على المبادئ التي ينبغي على الإنسان المسلم أن يمتثلها في حياته قناعة و مسلكا. مالك بن نبي: "شروط النهضة" ص 147.

23- إن افتقار المجتمع الإسلامي لثقافة المنطق العملي في الجانب العملي والسلوكي تظهر بشكل واضح في نظر مالك بن نبي في مجال التربية، وكمثال على ذلك يذكر لنا طريقة الأم في تربية ولدها، فهي إما أن تبدله بمعاملة أم متوحشة وإما أن ترخي له العنان وتتمتع معه لأنها إذا أصدرت أمرا ما شعر الطفل بتفاهة إرادتها فلم يعبأ بها بحكم أنها عودته في الوهلة الأولى على نمط مخالف لهذا والبتالي فإن عدم الفعالية تظهر في منطقها بل وحتى في عين الصبي الصغير، وهذا يبين لنا هشاشة الجانب العملي السلوكي من حيث الفعالية يحكم غياب قنوات الاتصال الحقيقية بين العناصر الثقافية، فمثلا نجد في الكثير من الأحيان أن المبدأ الأخلاقي يفتقد إلى آليات المنطق العملي وهذا من شأنه أن يصيب العالم الثقافي برمته بنوع من الشلل ونقص في الفعالية ومن ثم فإن التغيير الحضاري يستحيل أمام انعدام فعالية المنطق العملي، لأنه شرط من الشروط التي تجعل المبادئ الثقافية والحضارية واقعا ناجزا (أي يساهم في تغيير الإنسان والمجتمع نحو الأفضل والأحسن سلوكا وعملا)، أنظر في هذا الصدد، مالك بن نبي: "شروط النهضة"، مصدر سابق، ص 147، مالك بن نبي: "مشكلة الثقافة"، مصدر سابق ص 88، مالك بن نبي: "القضايا الكبرى"، مصدر سابق، ص 77، ص 88.

الأبعاد الفلسفية للفكر النهضوي في الجزائر

دخول العالم الإسلامي إلى الدورة الحضارية من جديد مرهون بإعداد الشروط النفسية والمادية لحركة التاريخ بمعنى إعداد الإنسان لصنع التاريخ، لأن التاريخ يصنع بالعمل والتضحية وليس بالسعي وراء تحقيق النزوات الفردية، فإعداد الإنسان الذي يقوم بواجبه كاملا غير منقوص ينتج لا محالة مجتمعا متكاملا متقدما ومتحررا، وهكذا فإن البدء من ذات الإنسان كما يرى "مالك بن نبي" هو المدخل السليم وإنما لشرعة سمحاء غير نفسك تغير التاريخ، إذ على هدى هذه الشريعة نجحت مجتمعات عديدة في الانتصار على الاستعمار كما حصل في الجزائر وغيرها من بلدان العالم الإسلامي المستعمرة عندما توجهت الجهود لصياغة الذات الاجتماعية الناشئة صياغة جديدة تأخذ أبعادها ومبادئها من الدين الإسلامي وفق ما اقره القرآن الكريم في خطابه قائلا "إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم" (24)

ويبدوا واضحا من كل هذا أن الاطلاع على مختلف التيارات النهضوية والإصلاحية في الواقع الثقافي الجزائري ينبؤنا بوجود اختلافات مذهبية ومنهجية لكل منها منظورها الخاص اتجاه الأبعاد الفلسفية والأهداف التي تصبوا إليها، فهناك تيار فلسفي علماني لا يرى الصلاح والفلاح إلا في محاولة اقتحام النموذج الغربي، وذلك في نظره بعد تخليص الهوية الجزائرية من دوغمائية التراث الديني وبالتالي تبني الحرية والديمقراطية والحلول الحداثية كمنفذ واحد ووحيد لرفع الأوضاع الجزائرية إلى مستوى العصرنة التي تلغي سيطرة الماورائيات لصالح دنيوة الحياة الاجتماعية والثقافية والحضارية وفي حقيقة الأمر لا يمكن التمثيل لهذا التيار في مفكر أو كاتب أو مثقف بعينه، لأن هذا التيار لا يركز على قواعد ثابتة تفرها طبيعة الهوية الجزائرية، وإنما هو صدي لواقع ثقافي غربي فرض نفسه على بعض المفكرين والصحافيين الجزائريين فراحت كتبهم تتداعي تحت لهجة الانفتاح والتماهي مع الثقافة والحضارة الغربية العالمية بيد أنه وإن كانت لهذا التيار مزية فتح الحوار مع الغرب عن طريق نشر مبادئ التعليم والصحافة وقيم العولمة والتقنية، إلا أن الأثر السلبي المشهود لها هو في الانعكاسات السلبية التي خلفتها، والتي تعد أمرا أشد خطرا وتنكيلا بمقومات الهوية/ الثقافة الجزائرية، غير أنه يمكن القول حسب ما يري الباحث "رايح لونيسي" أن المطلوب لنهضة عربية إسلامية

24- في هذا الصدد يرى مالك بن نبي أنه إذا بحثنا عن شيء يختلج في جوانب النفس الإسلامية فيردها قادرة على تغيير ذاتها والتخلي عن جمودها فلن يكون هذا الشيء سوى نور الإسلام ، أنظر في هذا الصدد ، مالك بن نبي: " وجهة العالم الإسلامي " ، ص 116 ، مالك بن نبي: " مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي " ، مصدر سابق ، ص 74.

أستاذ لكحل فيصل

جزائرية لا يركن نحو نبذ كل ما أنتجه الغرب أو يقف ضد كل ما أبدعه الآخرون، بل أن الواجب الإنساني الحضاري يحتم هذا الأمر مادام أن الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها فهو أحق بها كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم⁽²⁵⁾، ولكن هذا الواجب لا يمنع أبدا من نقد ما يوجد عند هؤلاء، بالإضافة إلى المساهمة الاجتهادية في نقد تراثنا نقدا علميا وموضوعيا ثم محاولة الاجتهاد للإبداع أكثر من ما هو عند الآخرين انطلاقا من قيمنا ومبادئنا الحضارية، وعلى خلفية هذه النتيجة وجد هناك تيار إصلاحي تجديدي آخر ينطلق من فكرة زرع الثقة في قيم التراث والمواطنة والقومية تحت لواء النهوض الحضاري من جديد من خلال استلهاهم روح الهوية الوطنية والعروبة والإسلام حيث جسد هذا المسعى رواد جمعية العلماء في هذا العصر سيرا على خطى "البشير الإبراهيمي" و"مبارك المليلي" و"العربي التبسي" و"الطيب العقبي"، من خلال المبادئ التي يأخذ بها في حفظ وصون الهوية/ الثقافة الجزائرية، حيث أن مسعى هذا التيار هو الوقوف في وجه المزاعم التغريبية الليبرالية من خلال استلهاهم الدين الإسلامي كمرجع للنهوض الحضاري والسعي إلى بث فعاليته في الواقع الاجتماعي والنفسي للإنسان الجزائري، لأن الدين يشكل بعد من الأبعاد الجوهرية التي تميز الهوية الجزائرية إلى جانب اللغة والثقافة والعادات والتقاليد، بيد أن التيارات الفكرية التي تبنت المرجعية الدينية اختلفت حول كيفية توظيفه في الحياة الاجتماعية والاقتصادية مما فتح الباب أمام مصراعيه لسيادة أفكار وأراء تحاول تبني مناهج أخرى مثل التوجه الصوفي الذي يسعى إلى بث الفعالية الدينية كمحرك حضاري من خلال مختلف الأشكال الصوفية التي تكشف عن وظيفة الدين وقدرته على المساهمة الفعالة في تغيير الواقع الإنساني، من خلال حرصه على الاحتفاظ بقيم التراث الإسلامي في الجزائر بواسطة الطرق المختلفة التي تبناها دعاة هذا التيار الإصلاحي من مثل "الهبرية في تلمسان" والتيجانية والزيانية وكذلك البلقايدية في وهران، حيث أن البعد الذي ركزت عليه هذه الطرق هو استعادة الدور الريادي الذي كانت تحضيه به الزوايا الصوفية التي حفظت ماء الوجه للمجتمع الجزائري أمام الاستعمار الفرنسي⁽²⁶⁾، مثل ما فعل الأمير عبد القادر مؤسس الدولة الجزائرية⁽²⁷⁾

25- راجع لونيبي: "البديل الحضاري-دراسة مستقبلية لمواجهة الكارثة التي تهددنا"، مرجع سابق، ص.6.

26- يري بعض الدارسين انه في كل تاريخ الجزائر المعاصر لم نعرف أكثر من شخصيتين بقوة الأمير "عبد القادر الجزائري" و"الشيخ عبد الحميد ابن باديس" ممن فهموا الذات الجزائرية وكان لهم نفس التأثير والتحويلات في تاريخ المجتمع الجزائري، غير أن هذا لا يعني البتة عدم وجود مساعي نهضوية فكرية كتلك التي بدأها المفكر الجزائري مالك ابن نبي وغيره من المفكرين الإصلاحيين، كما أن المحاولات التي تشهدها الدراسات الفكرية الفلسفية الجادة عند بعض المفكرين دليل على

الأبعاد الفلسفية للفكر النهضوي في الجزائر

ويمكن أن نمثل إلى طبيعة البعد الذي هدف إليه التيار النهضوي الإصلاحية التجديدي، سواء كان عند المتأثرين بجمعية العلماء المسلمين أو عند التيار الصوفي، في تركيزهم على الدور المهم الذي يمكن أن يلعبه تجديد اللغة العربية في هذه النهضة، لأن هذا المسعى يرتبط أيما ارتباط بالجهد القائم على الإصلاح الديني والأخلاقي، إذ كيف يمكن تصور محاربة الظلامية والجهل دون تصور ضرورة النشر المكثف للغة العربية على أصولها؟ أو كيف السبيل إلى إحياء العلوم الإسلامية الأولى دون تيسير استعمال الأداة اللغوية العربية وجعلها في متناول أكبر عدد من المسلمين الجزائريين⁽²⁸⁾، وانطلاقاً من هذه الضرورة فإن النشاط النهضوي الإصلاحية في الجزائر، لا بد أن يكون موجهاً بأبعاد بيداغوجية ذات نطاق واسع، من خلال التركيز مركزة على أهمية البعد التربوي في الدراسات النهضوية والفلسفية التجديدية في الجزائر، وفي هذا يقول الأستاذ الدكتور عبد الرزاق قسوم " لكننا نحسب القائمين على هذا اليوم وهم يضيئون الراهن بهذه الشموع، إنما يبعثون بإشارات وتنبيهات حول الواقع الفكري عموماً، والفلسفي منه خصوصاً فهم يحركون راكداً من عقل آسن، ويخلخلون ساكناً من واقع فلسفي مريض، وأحسبهم قد وضعوا أصابعهم على موطن الداء وإن تشخيص الداء هو نصف الدواء"⁽²⁹⁾

بيد أن هناك ملامح لتيار علماني جديد لم تتضح أبعاده الفلسفية الثقافية بشكل مكتمل، تجسدت مساعيه الابتدائية في ترسيخ فلسفة العولمة بمختلف قيمها في الواقع

تنامي وعي فلسفي نهضوي في الجزائر، انظر في هذا الصدد: مسعود النذير مكي: "النهوض الجزائري"، دار قرطبة، المحمدية الجزائرية، ط1، 2005، ص19.

27- في هذا الصدد نذكر على سبيل المثال لا الحصر ما قاله "ف.انجليز" من فرحته عند إلقاء القبض على "الأمير عبد القادر الجزائري" لأن ذلك سيسمح في نظره بمواصلة المهمة الحضارية لفرنسا في هذه البلاد، حيث كتب قائلاً: "إننا فرحون بإلقاء القبض على القائد العربي الأمير عبد القادر.. إن غزو الجزائر عملية مهمة لتقدم الحضارة.. وعلى كل حال البرجوازي المعاصر والحضارة والصناعة والنظام والتنوير الذي يأتي به هو عمل جيد لدولة ومجتمع البرابرة (إشارة إلى الجزائر)، انظر في هذا الصدد: راجع لونيي: "البديل الحضاري-دراسة مستقبلية لمواجهة الكارثة التي تهددنا"، مرجع سابق، ص30.

28- فالعروبة في الجزائر وحركة التعريب المكثف التي عرفها البلاد في السبعينيات لم تحل دون قيام أحزاب سياسية تنازلت من أجل إحياء ثقافة لها مقوماتها الغوية والفكرية تأكيداً للذات في حرصها الأبدي على التميز وسعياً المتواصل إلى الكفاح من أجل البقاء كما تريد لا كما يراد لها أن تكون، انظر في هذا الصدد، على مراد: "الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر، بحث في التاريخ الديني والاجتماعي، مرجع سابق، ص427. وكذلك: Bernard Lewis . que s'est –il passée l'islam -

l'occident et la modernité. paris. Gallimard. 2002. p80.

29- عبد الرزاق قسوم "الفلسفة في الجزائر: تأملات في المعاناة"، جريدة الشروق، العدد..

أستاذ لكحل فيصل

الاجتماعي والاقتصادي الجزائري، وهذا لأن خطاب الهوية في نظرهم لم يستطع على الرغم من تطلعاته النهضوية أن يفك أسر المجتمع الجزائري من بؤار الأزمة التي يتخبط فيها اقتصاديا وثقافيا وحضاريا، إذ نجد أن باحثا مفكرا مثل "الزواوي بغورة" يري وجود بؤار أزمة حقيقية تجتاح المجتمع الجزائري، إلى حد أن جل الخطابات الفكرية في مجال الفلسفة والعلوم الإنسانية المختلفة لم تستطع في نظره بلورة فهم مناسب لما يحدث، وهذا لسببين، الأول هو أن هذه الخطابات الفكرية النهضوية تفتقد إلى التحليل التاريخي والفلسفي العميق الذي يعاني من ضعف معرفي ومنهجي، أما السبب الثاني لهذه الأزمة هو تبعية هذه الخطابات الفكرية إلى الخطاب الإيديولوجي بمختلف أنواعه⁽³⁰⁾

ولعل الباحث "الزواوي بغورة" يلمح من خلال موقفه هذا إلى وجود أزمة أكبر من ذلك إنها أزمة افتقاد الفهم الصحيح لمقومات الهوية الجزائرية، لأن من بؤار هذه الأزمة، مثلا أن السؤال عن أبعاد الهوية لا ينفصل عن العنف في تجربة تاريخية كتجربة الجزائر، خاصة في المرحلة الاستعمارية وما بعدها في مرحلة الدولة الوطنية حيث كان العنف يغذي الهوية ويعطي لها صورته، فإزاء المحور الاستعماري العنيف لكل مقومات المجتمع وإزاء العنف الممارس على الأهالي الجزائرية في وقت الاستعمار لم يجد الشعب الجزائري بدا إلا التشبث وبعناد غير مسبوق بهويته ولو على سبيل الدفاع عنها بالأسلحة، ولهذا كانت حرب التحرير الوطنية تعبيرا وإعلانا صريحا عن ميلاد مقومات الهوية الجزائرية⁽³¹⁾، ولكن المشكل يطفح عندما تفقد الإرادة النهضوية أحد هذه المقومات أو تتجاهله بدعوى أن التغير الحضاري لا يقبل كل المعطيات والأبعاد التاريخية للهوية ولهذا يبدوا أن هناك تناقضا حتميا بين الانشغال بالحفاظ على هوية الأمة وإعداد مشروع نهضوي يخرجها من تخلفها المزمّن، بيد أن هذا الافتراض لا يؤخذ على إطلاقه

30- في هذا الصدد يرى الباحث "الزواوي بغورة" أن المدخل السليم والمشروع لطرح إشكالية الهوية الجزائرية ومناقشتها وتحليلها هو المدخل المعرفي النقدي وليس المدخل السياسي الإيديولوجي، لأن المعرفة هي التي تعطي للهوية قوامها وماهيتها مع أن الجانب السياسي والإيديولوجي حاضر بالضرورة في فهم ومناقشة هذا الموضوع، وفي موضع آخر اختصر "الزواوي بغورة" موضوع المحاضرة المعلن عنها تحت عنوان "الخطاب الفكري في الجزائر بين النقد والتأسيس" في "الهوية نموذجا" إلى تشخيص الإشكالية التي ظلت لعقود عدة تبحث عن حلول في الخطاب الفكري الجزائري وذلك في تأكيده على أن الكثير من متناولي قضية الهوية في الجزائر ينحرفون بها إلى مجالات السياسة التي لن تفضي بها إلى حلول، لكونها قضية ثقافية بالأساس. انظر في هذا الصدد: الزواوي بغورة: "الهوية والعنف في الخطاب الثقافي الجزائري" مجلة العربي، العدد 1599 أكتوبر، 2008، ص 24. وكذلك:

-olivier Roy – l' échec de l' islam politique . paris .seul .1992 .p73.

31- المرجع نفسه، ص 26.

الأبعاد الفلسفية للفكر النهضوي في الجزائر

دائما لان مشاريعنا النهضوية كانت في الكثير من الأحيان تصاب بالفشل والإخفاق نتيجة عدم التكامل بين الهوية والطموح النهضوي الحضاري، وهذا الأمر تلازم مشهود حتى في حضارة الغرب المهيمنة، إذ سار تأكيد الهوية والنهوض الحضاري في مسارين متوازيين ومتعاضدين⁽³²⁾، ولهذا بالضبط لابد للمساعي النهضوية في الجزائر أن تفتح فضاء حواريا مع مقومات الهوية الجزائرية في أكثر من صعيد، على الصعيد الثقافي والسياسي والاقتصادي والديني، إذ بهذا يمكن للفكر النهضوي الجزائري أن يتطلع إلى مستقبل اجتماعي واعد، من خلال كسر طوق الاحتكام إلى الثنائيات الهشة بين ديني وعلماني ومؤمن وملحد أو وثامي واستئصالي، قصد التعامل مع المشاريع والأفكار من وجهة نظر نقدية تأخذ في الحسبان قوة الأسلوب وطاقة الفكرة، لأن "الإنسان الجزائري العادي تجاوز هذه الشجارات الإيديولوجية وراح يطالب بضرورات حيوية ووجودية ذات أولوية قصوى"⁽³³⁾ ولذا فان النهوض الجزائري ليس بمعجزة إنسانية، بل هو هين وسهل مقارنة بطبيعة الفرد الجزائري التي تتميز بأبعاد إنسانية عالية تؤهله لان يكون أحد المجموعات البشرية النادرة في هذا العالم⁽³⁴⁾.

من خلال التحليلات السابقة يمكن أن نخلص إلى القول بأن الخطاب النهضوي الإصلاحي في الجزائر يحتاج إلى أبعاد فلسفية عميقة في المستوى (النفسي والثقافي والديني والأخلاقي والاجتماعي والاقتصادي والسياسي)، لان التحديات الراهنة التي يفرضها الوضع العالمي المعاصر تفرض على الدوام وجود فكر فلسفي متبصر يمكنه أن يفتح أفاق الحوار الأصيل بين قيم التراث ومتطلبات الحاضر، وفي ما يلي أهم التحديات التي تتطلبها عملية النهوض الحضاري في الفكر الجزائري المعاصر:

- مواجهة المزالق والمطبات التي تعرقل إمكانية الإبداع الفكري في الجزائر.
- تبني نظرة استشرافية مستقبلية يمكنها أن تنهض بحال الركود الفكري والعلمي في الجزائر.

- اقتراح برامج تقنية محكمة تجسد الصورة العملية للتنظير الفكري.
- تكييف التنظير الفكري في الجزائر مع متطلبات الواقع الاقتصادي والاجتماعي الراهن.
- اقتراح مشاريع اقتصادية ذات أبعاد تنموية شاملة وذات تخطيط فكري يراعي المقتضيات المعاصرة التي يحتاجها المجتمع.

32- المرجع نفسه، ص 27.

33- محمد شوقي الزين: "إزاحات فكرية، مقاربات في الحداثة والمنقذ"، مرجع سابق، ص 105.

34- مسعود النذير مكيد: "النهوض الجزائري"، مرجع سابق، ص 11.

أستاذ لكحل فيصل

- تحديد الجوانب النهضوية اللازمة التي تربط بين التنظير الفكري الفلسفي وطبيعة الوجود الاجتماعي.
- فتح أفاق الثقافة الجزائرية على الموروث التراثي الذي يشكل الهوية الجزائرية.
- استثمار الافتراحات الفكرية الفلسفية في عملية تجديد ثقافي يراعي خصوصية المجتمع الجزائري .
- إنتاج خطاب محلي يأخذ أصوله من الهوية الجزائرية ويسعى إلى مساهمة الراهن العالمي.
- إيجاد المقاربات اللازمة التي تربط بين ميدان التنظير الفكري ومجال تحقيقه الناجز في الواقع.
- العمل على تكوين الكفاءة العلمية القادرة على توطيد الإنتاج العلمي في الواقع الجزائري المعاصر.
- إن الحل الثقافي المناسب للخروج من الأزمات التي تتخبط فيها التيارات الفكرية في الجزائر هو إعطاء روح جديدة للفكر الجزائري المعاصر من خلال توطيد دعائم هوية منفتحة تتجاوز النظرة المغلقة على التراث كما يجب أن تسعى في ذات الوقت إلى تجاوز نزعة الانفتاح اللامشروط على قيم الحداثة والعولمة والمعاصرة .
- إن ما يحتاجه الفكر الجزائري المعاصر هو رؤية جديدة تموضع مكانا لها في إطار الزخم السياسي والاجتماعي العالمي وذلك بالانخراط في فضاء الهويات المنفتحة والمعتدلة التي تراعي مبدأ التكامل الوظيفي بين قيم الماضي ومتطلبات الحاضر وتحديات المستقبل .

الأبعاد الفلسفية للفكر النهضوي في الجزائر

- مصادر ومراجع البحث :
- سيد احمد بغلي: "جوانب من سياسة الجزائر الثقافية"، منظمة الأمم المتحدة العربية للتربية والعلم والثقافة، باريس، (د-ط)، 1980.
- عبد الحميد ابن باديس: "أثر ابن باديس"، إعداد وتصنيف، عمار الطالبي، أربعة أجزاء، ط2، دار الغرب الإسلامي، 1983.
- عبد المجيد البدوي: "الفكر العربي الإسلامي الحديث والمعاصر وتحسين الذات"، مركز النشر الجامعي، تونس، 2005، (د-ط).
- على مراد: "الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر، بحث في التاريخ الديني والاجتماعي"، من 1925 إلى 1940، ترجمة، محمد يحيتان وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007.
- محمد شوقي الزين: "إزاحات فكرية، مقاربات في الحداثة والمثقف"، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، 2008.
- راجح لونيسي: "البديل الحضاري-دراسة مستقبلية لمواجهة الكارثة التي تهددنا"، دار المعرفة، 1998.
- أسعد السحمراني: "مالك بن نبي مفكرا إصلاحيا"، دار النفائس، بيروت، ط2، 1986.
- مالك بن نبي: "شروط النهضة"، ترجمة عمر كمال مسقاوي وعبد الصبور شاهين، ط3، دار الفكر، 1969.
- موسى لحرش: "إستراتيجية استئناف البناء الحضاري للعالم الإسلامي في فكر مالك بن نبي"، مخبر التربية والانحراف والجريمة في المجتمع، (د-ط)، 2006.
- مالك بن نبي: "وجهة العالم الإسلامي"، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر الجزائر، دار الفكر دمشق سوريا، ط5.
- نورة خالد السعد: "مالك بن نبي و الثقافة التغييرية"، "مالك بن نبي بقلم معاصريه"، جمع وإعداد نور الدين مسعودان، دار النون (د-ط)، (د-س).
- بشير محمد: "مقدمة في علم الاجتماع العام من فكري روشتي Guy rocher تقديم وحوصلة تركيبية مع أمثلة مرفقة بدراسات" كنوز للنشر والتوزيع، ط2009، 1.
- مسعود النذير مكيد: "النهوض الجزائري"، دار قرطبة، المحمدية الجزائر، ط2005.
- olivier Roy – l' échec de l' islam politique . paris .seul . 1992 .

أستاذ لكحل فيصل

- Bernard Lewis . que s'est –il passée l'islam l'occident et la modernité .paris .Gallimard.2002.

-المجلات العلمية:

-عبد القادر هني : "التربية والتعليم ومشروع المجتمع عند الشيخ عبد الحميد ابن باديس"، مجلة الباحث، المدرسة العليا للأساتذة في الآداب والعلوم الإنسانية بوزريعة الجزائر، العدد الثاني، 2009.

-عبد الرزاق قسوم "الفلسفة في الجزائر: تأملات في المعانات"، جريدة الشروق، العدد -الزواوي بغورة "الهوية والعنف في الخطاب الثقافي الجزائري"، مجلة العربي، العدد 59 أكتوبر، 2008.